قِصَّةٌ قصِيرَةٌ

الصايم

تأليف

علاء عبد الخالق

إهداء

إلى الذين هذّبتهم وحدَتَهم فاتخذوا من ذواتهم أصدقاءً لهم واكتفوا بعزلتهم عن زيف البشر، دُمتم بسلامٍ آمنين

...

ملحوظة؛ ما ستقرأه لا يمس الواقع بأي صلة وهو من وحي خيالي...

علاء عبدالخالق

2020

تصميم الغلاف : محمد الحلو

مراجعة :

أحمد السيد

شريف الرفاعي

(1)

في إحدى القرى الريفية التي بالكاد ترى رسمتها على الخريطة، ومع بداية فصل الشتاء وها هي عقارب الساعة تشير إلى حلول الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل.. مَكث محمد عادل الطالب بالفرقة الرابعة في كلية الطب على مكتبه الشبه ممتلئ بالكتب والمراجع يستحضر دروسه التي لا تنتهي أبداً حتى مع حلول الإجازة الرسمية للبلاد!.. وبينما أخذ يتجول في أرجاء غرفته الغير مكتملة التشطيب والتي تقع في الطابق الثاني لمنزل والده الأستاذ عادل الهلالي مدير الجمعية الزراعية للقرية والذي بالمناسبة لا يملك أيّ أراضٍ زراعية تُذكر إلّا بضع قراريط يستأجرها منه أخاه المزارع بثمنٍ بخسٍ على مدار العام..

فإذا به يسمع صوت دوي إطلاق نارٍ والذي ميزه من البداية بأنّه من بندقية نظراً لصداه الذي رجّ أثاث غرفته رجاً مما تسبب في سقوط قشر الدهان المهترئ من على الحائط.. فهب ناحية النافذة بعد أن سقطت نظارته الطبية -التي لا يلبسها إلا وهو يعاين الكتب- ليرى مشهداً عجيباً لم تتضح الرؤية خلاله جيداً حيث شيخ الغفر واثنين من رجاله يهرولون خلف رجلٍ مُلثّمٍ.. رشاقته لا تمنعه من أن يعرج على قدمه اليسري أو اليمنى ليس بمتأكد ولكنه يجري بخفةٍ ملحوظةٍ جعلته يسبقهم بمسافة مريحةٍ ليهبّ بسرعته في البستان الذي تطل عليه نافذته..

وفي هذه الأثناء، خرج الجميع على قدمٍ وساق من منازلهم والنعاس يغالبهم بالتأكيد -يمكنك أن تتنبأ بسهولة في أي ساعةٍ متقدمةٍ ينام أهل الريف- وعلى رأسهم أبيه الذي كانت تلمع صلعته مع النور الأصفر للكشاف الخافت فوق رأسه.. ولم يختلف المشهد بالأسفل عما كان يتابعه محمد بالأعلى حيث كان شيخ الغفر ومعاونيه بأنفاسهم وأصواتهم المتقطعة جراء الجري يرمون بالسباب والشتائم على هذا اللص الهارب الذي نجا بجلده.. فأخذ الجميع يسألونهم أو بالأحرى يستجوبونهم عن سبب كل ذلك، فقصّ عليهم شيخ الغفرما حدث، وهو أن رجلاً ملثماً لم يميزوا معالم وجهه لأنه كان مغطى بالأسود وُجد مُتلبساً وهو يقفز من على سور البنك الزراعي ومكتب البريد محاولاً السطو على المبنيين الملتصقين وسرقتهما إلا أنّ أحد الغفر قد لاحظ وجود حركة على سور البناية فهمّ مسرعا ليُخبر البقية بما سمع..

فأسرعوا جميعاً نحوه فوجدوه يشرع في الهروب بعدما سمع جلبتهم.. فهدده كبيرهم -شيخ الغفر الذي كان بدوره يتفقد أحوال معاونيه في هذا الوقت- بأنه سيطلق النار عليه إن لم يتوقف.. ولكنّه لم يُعرهم أي إنتباهٍ وأخذ يُسرع في خطاه أكثر إلى أن ضاق بشيخ الغفر ورجاله ذرعاً فصوبوا النار في الهواء أكثر من مره فلم يتوقف،

وبعدها صوّب أحدهم النارعلى قدمه فأصابته إحدى الطلقات.. إلى أن وصلوا الى آخر القرية حيث منزل الأستاذ عادل الهلالي وبعده بستان الفواكه الذي فرّ فيه اللص محدثاً وراءه كل هذه الضجة..

(2)

في أجواءٍ صاخبة تعلوها أصوات موسيقى مزعجة -والمشهوره في مصرطبعاً بالمهرجانات- وقف الحشد جميعاً يحركون أجسادهم في لهوٍ يتماشى مع صخب هذه الموسيقى.. حتى جموع الفتيات لم يأخذهنّ الحياء ليتفرقن أو يكُنّ على مسافة تمنع الإختلاط مع جموع الذكور.. لا بل هبّ الجميع على المسرح يرقصون في إنسيابية غير مبالين بما يظهر من مفاتنهم!.. الكلّ يرقص على ليلاه.. وحده صادق الرفاعي, الموظف منذ شهرين تحديداً في إحدى الشركات الخاصة التي لن تعاملك بالدولار طبعاً وستستنفذك على مر السنوات.. انتحى جانباً ووقف يراقب ما لا يندرج في قاموسه الأخلاقي إلا تحت مسمى العهر, مشهد يكاد يجزم أنه رأه كثيراً في أفلام هوليوود التي يشاهد واحداً منها كلّ يومٍ تقريباً لتسليه في غربته الصغرى..

وبينما يتجرع آخر جرعة من كوب البرتقال الذي في يديه، إذ تقترب منه رئيسته في العمل.. وهي ثلاثينة، فارعة القامة، مطلقة منذ مدة ليست بالطويلة وبإمكانك أن تتخيل كَمّ المساحيق والمعاجين الذي تضعه في وجهها لتغريك بأُنوثتها المبالغ فيها!.. والتي لا يدري لماذا ينقبض صدره عندما يراها تقترب منه حتى -هنا في الحفلة- في غيرمواعيد العمل الرسمية.. وتطلب منه هو بالذات أن يشاركها رقصة ميز إيقاعها الهادئ عندما رأى حركة الجموع تخف تدريجياً..

احمرّ وجهه فجأة، وتوقفت الكلمات في حلقه لا يدري بماذا ينطق.. إلاّ أن سريرته استلهمته اعتذاراً قد يكون مقبولاً؛ فقال لها أنه يعاني من آلامٍ في ركبته ستحول بينه وبين الرقص.. فنظرت إليه بسخرية وهمهمت ببضع كلمات لم يفهمها ومضت في طريقها تبحث عن فتى آخر يشاركها لحظات النشوة والفراغ التي كانت تعانيهما بوضوح.. وما لبثت أن ذهبت إلى حالها وتركته حتى انفرجت أساريره ورجع إلى وضعه الطبيعي يرقُب الجموع الذين عاودوا رقصهم في لامبالاة..

وقُبيل الفجر بساعتين، كان صادق قد فاته موعد نومه المحدّد إلاّ أنّه قرر في هذه الليلة أن يتخلى عن حياته الروتينية التي اعتادها منذ شهرين ويُروح عن نفسه ببعض المرح.. توقف صوت الموسيقى وهدأت الجلبة والأصوات على حين غرة.. وألقى الجميع بأنظارهم على فتاة شبه عارية تصفع شاب مكتنزالجسم -تشك في رجولته- على خده الأيسر،

ليبادلها هو الأخر بقبضة محكمة على فكها الأيمن أردتها على الأرض بلا حراك..

***

(3)

بعد أن فرغ شيخ الغفر من سرد قصته التي رواها على مسامع من خرجوا من ديارهم مفزوعين على وقع صوت طلقات النار، عاد الكل إلى فراشهم ليغطوا في نوم عميق سيفيقوا بعده لينطلقوا إلى أراضيهم وأشغالهم.. وحده محمد عاد إلى مكتبه ليكمل دروسه وينهي محاضراته المتراكمة محاولاً إنهائها قبل أن ينام.. وبعدها ببرهة وقف ليريح قدميه وفجأة لمح في الأفق قمراً شبه مكتمل تتلألأ حوله النجوم وترتعش في ظلمة الليل الحالكة.. واستحضر ذهنه طواعية الفتاة المنتقبة التي يراها كلّ يومٍ على محطة القطار وهو منطلقّ إلى كليته بعد الفجر..

لا يرفع عينه ليراها حتى فهي أخت صديقه.. اسمها حسناء وكم هي حسناء حقاً حتى ولو لم يبد منها اصبعاً واحداً!.. يقف كلّ يومٍ على أول المحطة ليرقُبها، تمر مع زميلاتها اللاواتي يكسيهنّ الأسود من أعلاهنّ إلى أسفلهنّ، ليس حداداً منهنّ على أحدٍ ولكنهنّ اخترن رداء العفاف والوقار ليكون حصناً لهنّ من أنظار الطامعين.. وفي خجل وتؤدة منه يركب في عربة أخرى ويشرد بذهنه ويفكرألف مرة في الطريقة المناسبة التي يخبر بها أخاها -صادق- الذي ينتظر رجوعه إلى القرية على أحر من الجمر ليخبره أنه يريد أن يتقدم لخطبة أخته اليوم قبل غدٍ لكن ما يمنعه هو دراسته..

تنهد بعمقٍ قبل أن يعود إلى كتبه لينهي ما بدأه في تلك الليلة الحافلة المليئة بالأحداث، وبعدها ذهب ليريح جسده قليلاً قبل صلاة الفجرحيث سينطلق بعدها إلى كليته مع جاره وصديق طفولته وليد الذي على أعتاب التخرج من كلية التجارة.. أخذ كعكة صنعتها أمه ووضعها في فمه على عجل ثم قبّل يدها وألقى السلام على والده الذي وضع بدوره مائة جنية في جيب بنطاله وانطلق.. ما إن وقف أمام منزل صديقه الملاصق له حتى أخرج هاتفه المحمول وضغط زر الإتصال مراراً وتكراراً على رقمه لكنّ أحداً لم يرد..

ولمّا لم يأتهِ رد بعدها بدقيقتين، صوّب وجهه ناحية الشرفة الأمامية ونادى بأعلى صوته على صديقه ففتحت أمه -التي فقدت عينيها منذ زمن- الباب ورحبت به.. فبدا على وجهه الإستعجال وسألها على مضض إن كان وليد قد أفاق من نومه أم لا؟..

فتعجبت وقالت بدورها: ألم يكن من المفترض أنه يذاكر معك طيلة الليل حتى أنني قد صحوت مع من صحوا أثناء فرار اللص وحسبته معك!.. سكت قليلاً ليستوعب ما تقول.. فانتحل وجهاً أخر ليختلق كذِبة تليق بالموقف وقال: نعم كان معي لكن ربما لما غفوت أراد أن يتركني نائماً وذهب إلى البيت.. وما لبث أن يستأذنها لينطلق إلى طريقه حتى سمِعا فجأة صوتاً مبحوحاً ينادي من خلف الستائر أن اصعد إليّ يا محمد..

صعد خطوات الدرج مع أمّ صديقه التي تسندت عليه ووقفا قبال غرفة ولدها.. ففتح الباب على مصرعيه لتتمكن الأم من الدخول، ولما دخلا رأى مشهداً عجيباً؛ صديقه متكور تحت الغطاء على سريره ويخفي صوت أنينه حتى لا يُسمع أمه.. والتي بالتأكيد لديها حاسة سمع أقوى منهما.. وتحت الغطاء الذي يلتف فيه رأى بُقعاً خافتة من الدم فجزع أكثر وجحظت عيناه ناحية صديقه.. إلى أن قطعت الأم الصمت الذي كان يغلف الغرفة وقالت: لماذا لم توقظني عندما أتيت يا ولدي!.. فرد عليها بصوت خافت قائلاً: لم اشأ أن أوقظك في هذا الوقت المتأخر يا أمي.. ضغط على أسنانه من الألم ورمق صديقه محمد بنظرة تحسبها متأسفة وقال له: جدولي اليوم ليس به محاضرات، فلتَمرعليّ بعد أن تأتي ولتصحبك السلامة إذا.. لم يَنبِس محمد ببنت شفةٍ وإزداد تبرماً وذهولاً ولم يفق من سباته إلا عندما رن هاتفه ووجد صديقه أيمن يعاتبه على التأخير الذي ليس من عادته.. فاستأذنهما وسارع الخطوات نحو محطة القطار وفي رأسه ألف تكهّن وتكهّن..

(4)

تسَمّر الجميع في أماكنهم بعدما أُغشي على الفتاة التي تلقت ضربة مُباغتة من الشاب المكتّنزالجسم.. ولا تدري أهو تأثير الخمورمن أخمد جذوتهم أم أنّ هؤلاء بطبعهم لا يُعيرون من حولهم أي إنتباه يُذكر حتّى في أصدم المواقف!.. هرول صادق وبضع من الشباب -الذين لم تصبهم لعنة الخمر بعد- ناحية الفتاة وعلى جانبها الشاب المكتنز يثرثر ويسُب وتعلو جبينه نظرة استقطاب وكلّ الكُره في عينيه.. حملوها إلى سيارة الإسعاف التي أتت بعد أقل من ربع ساعة بعد أن طلبتها رئيستهم في العمل وانطلقوا إلى المستشفى.. سارع الجميع لينقل الفتاة داخل غرفة الطوارئ واستقبلتهم ممرضتان كانتا نائمتين ذهبت إحداهنّ لتنادي الطبيب الذي سيكون بالطبع حديث التخرج, لأنك لن تجد بالتاكيد أستاذ دكتور ينتظرك في مثل هذه الساعة المتأخرة..

وقف الجميع متأهبين في إنتظار قرار الطبيب الذي همّ بعمل اللَازم من إشاعات وتحاليل وبعدها أخبرهم أن الفتاة تلقت ضربة مُحكمة على فكها الذي أُصيب بكسر

قوي ستخضع على إثره لتدخل جراحي.. لم يكن على الجميع أن يمكُثوا أكثر من ذلك خاصة مع تأخر الوقت فاستأذن معظمهم وبقيت رئيسة العمل واثنتين من صديقات الفتاة.. ما إن خرجوا من غرفة الطوارئ حتى انطلقوا بسياراتهم على الطريق السريع ليمضوا لحالهم.. وحده صادق وقف على قارعة الطريق يصارع موجات الصقيع الباردة التي تضرب ضلوعه حيث تزداد مع اقتراب ساعات الصباح الأولى ينتظر أي وسيلة مواصلات تأخذه إلى منطتقة الشعبية التي يسكنها..

يبسط النهار أشعة نوره شيئاً فشيئاً والشمس تشرق على استحياء تداعب خيوط الأمل وتنذر ببداية يوم شتوي جديد، وما زال صديقنا صادق متكوراً على الجانب الأيمن للشارع الرئيسي ينتظر الفرج إلى أن اقتربت منه سيارة فاخرة صغيرة الحجم يُخيل إليه أنه قد رأها من قبل!.. طلت رئيسته في العمل من النافذة المقابلة له تطلب منه أن يركب السيارة، فتمتم ببضع كلمات يخبرها فيها أنّه ينتظر أوتوبيس النقل العام الذي يقترب موعد وصوله ويشكرها على نبلها.. ألَحّت في سؤالها أكثر فلم يملك حلاً آخر إلاّ أن يندس بجسده من البرد داخل السيارة.. فأنطلقت بأقصى سرعة تسأله عن المكان الذي يسكنه فأخبرها على استحياء باسم الحي الشعبي الذي يقطنه ولم ينطق بعدها بكلمة.. إلى أن تحدثت هي وسألته إن كان يسكن وحده أم مع أقربائه؛ فأخبرها أنه يتشارك السكن مع اثنين من أصدقائه ممن يعملون في عملٍ حرّ مثله..

وهكذا، ظلت تسامره طيلة الطريق وتستشف الإجابات بفضول، تريد أن تعرف عنه كل شئ كأنها وكيل نائب عام يستجوبه في قضية تعدي على السلطات!.. إلى أن اقتربت من مشارف الحي الشعبي فأخبرها أن تنتبذ جانباً بالسيارة تركن فيه لأن الشارع لن يسع السيارة بضيقه.. شكرها على عجلٍ وهمّ بفتح الباب بعد أن طلب منها أن تفتحه لأنه يعمل بشكل آلي، وقبل أن تضغط على زرّ التحكم لتفتحه سألته سؤلاً لا يقل غرابة عن جُلٍ ما سألت طيلة هذه التوصيلة القصيرة؛ وهو إن كان متفرغاً غداً بعد العمل ليتناول معها الغداء؟..

***

(5)

شارد الذِهن حائر، ألف خاطرة تدور في مُخيَلتهِ الأن، لا يُبالي بمن حوله أو لعلَه يدري ولا يدري..

دأب محمد على تحصيل دروسه ومحاضراته في يوم حافل كعادة معظم أيّامه.. عقله مقسوم نفصين؛ نصف يسيطرعليه أكثر وهو التفكير في حال صديقه وليد وإن كان الحدث الجلل الذي حدث بالبارحه له علاقة به أم لا؟.. والنصف الآخر بالفعل منشغل بما يُملى عليه وما يشرحه أساتذته أمام عينيه.. وبعد إنتهاء محاضراته استّقل كعادته القطار ووصل إلى أطراف قريته قُبيل المغرب، وفي ذهنه شئ واحد الآن؛ أظنك تعرفه جيداً.. تردد كثيراً، أيذهب إلى جنة أمّه الأن لتطعمه ويريح بعدها جسده المستنزف من كثرة الحركة وقلة النوم أم يطمئن على صديقه ولو حتى بأن يُلقي عليه نظرة خاطفة..

خانته أقدامه هذه المرة واتجهت صوب دار صديقه ولم تعرف طريق بيته الذي يلجه يومياً على مدار اثنين وعشرين عاماً!.. وراح يطرق الباب حتى فتحت له والدة صديقه على مهل فسلّم عليها وسلّمت عليه، مازحته قليلاً بعدها فهي تعتبره ولدها الثاني ودعته للدخول فأبى ومازحها بدوره حتّى وإن لم يكن في مزاج يسمح له بذلك ولكن ليطيب خاطرها.. على استعجال، سألها عن حال وليد فردت بصوت خافت بدت عليه ملامح الحزن أنه لم ينزل حتى من غرفته، وأنّها حين تحث الخُطى ناحيته ليخرج من أسره يتحجج بأنه يريد أن يأخذ كفايته من النوم حتى يقوى على السهر مع محمد ليذاكرا معاً بالليل..

بعد المغرب، حاول محمد أن يستريح لكن لم يغمض له جفن بعد أن تقّلب على مضجعه أكثر من ساعتين!.. تُرى هل اجترأ صديقه على سرقة البنك الزراعي ومكتب البريد كما يُشاع، وإن كان كذالك فلماذا إذاً؟.. نزع عنه غطاءه وغيرملابسه ليخرج من غرفته قاصداً منزل صديقه الملاصق له، الآن لحظة الحسم.. لا مزيد من التكهّنات والهواجس.. إما الحقيقة أولا شئ.. صادفه أبوه على درج السلم ليطلب منه أمراً ما -مصلحة- يريده أن يذهب ليقضيه نيابة عنه، فاعتذر منه وقال له: بعد أن أعود يا أبي سأُلبي لك كل ما تريد.. حتى عندما استوقفته أمه التي مازالت تُبقي على وجبة العَشاء كما هي على السُفرة، لم يُكثر الكلام كعادته ورد عليها: لاحقاً يا أمي سآكل وأفعل كل ما تريدون منّي..

ربما حين يروق لي بال..

في بيت وليد، بلا سلام ولا مقدمات فارغة، وقف قبالته وهو مُستلقياً على سريره دافناً رأسه في ثنايا وسادته المهترئة.. وبأعين ثاقبة تصرّعلى معرفة الحقيقة سأله بامتعاض؛ أفعلتها؟.. إعتدل وليد في قعدته ولم يجسر حتّى على تحريك شفتيه ليعترف بفعلته كأن عقرباً لدغه, واكتفى فقط بالإيماءة برأسه أن نعم فعلتها!.. لم يقدر محمد على تمالك أعصابه التي لم تهدئ ثورتها منذ ليلة أمس فراح يخّبط على المنضدة أمامه في غيظ وحنق.. وليد صديق عمره و حقاً ما يعني صديق عمرك سيعنيك.. استحلفه وليد أن يسكت حتى لا تجزع أمه التي لو عرفت بشئ كهذا سيُغشى عليها وربما تموت فيها.. أنت لا تعرف كم تعني أمور الشرف هذه للفقراء فهم لا يمتلكون بعد فضل الله إلا رداء الستر يُغلّفهم.. بلوم وكُره في آن واحد, اقترب منه محمد وعينه تقدح بالشرر وبدون تردد قال له: لا أريد أن أعرف أمثالك بعد الآن!..

(6)

مع صباح يوم جديد، أفاق صادق من سباته الذي لم يدم ثلاث ساعات على الأغلب.. ولن أكتب لك ما تُحبذ أن ترسمه في خيالك البرئ المتعاطِف مع هؤلاء ممن يُشبهوننا بأنه ذهب ليحتسي القهوة ويأكل معها قطع الكرواسون في الشُرفة ويلقي نظرة على بنت الجيران خِلسة!.. ربما في عالم موازي آخر سيحدث ذلك... لا الأمر أبسط من ذلك، قَصد دورة المياة ليتوضأ ويصلي فرض الصبح الذي لا يُفوّته عادة في جماعة باستثناء العارِض الذي منعه الليلة الماضية، وغلى كوباً من الشاي تناول معه كعكاً تصنعه أمه في البيت ويأخذه معه بعد أن يعود من إجازته التي بالكاد لا تتخطى يومين!.. وبذلك أتم وجبة إفطاره سريعاً والتي بالمناسبة ستكتفي بها معدته حتى العصر.. حث الخُطى إلى الشارع الرئيسي ليلحق بالحافلة التي تقله على بُعد شارعين من مكان عمله وبعدها بحوالي ساعة نزل منها وسارع إلى البناية التي تتمركز فيها شركته.. ألقى التحية على زملائه من الشباب، ولم يقدر حتى على رفع عينيه في أعين زملائه من الإناث ليُحيِيهنّ فحمداً لله ما زالت فيه فضيلة الحياء متَّقِده لم تخِمد جذوتها بعد..

شارفت ساعات العمل على الإنتهاء، وصادق مُنكبّ على مكتبه يُلملم أوراقه ومستنداته قبل أن يعهد بها للمشرف عليه في العمل ليسلمها بدوره لرئيسة العمل لتُصدق عليها.. ما إن رأت الأوراق التي تحمل اسمه حتى تذمرت واحتنقت وطلبت من المشرف أن يُنادي على هذا الموظف في الحال.. تعجَب صادق من طلب المُشرف وذهب معه على الفور يُقدّم رِجلاً ويُؤخّر أخرى، يعلم أنه أتمّ عمله على الوجه المطلوب لكن تُرى ما الخبر؟.. سمعت صوت الأيدي تقرع على بابها فعدّلت من هندامِها وألقت نظرة في المرآة على شعرها وزينت وجهها بالمزيد من تلك الأشياء التي لا أعرف لها اسماً صراحة ولكنّها تلمع في إغراء!.. وقف بجانب المُشرف ليسمع منها توبيخات صاعقة زلزت كيانه, تمنى لو أنّ الأرض تنشق لتبلعه من قُبح ما يرى ويسمع.. أمرت المُشرف بالإنصراف ليُتّم شئ يبدو أنّها اختلقته حتى تتسنى لها الفرصة للإنفراد بصادق, خرج وأغلق الباب وراءه فازداد الفتى خجلاً وخُفوتا.. لتقترب منه وتقول في انتصار: ما رأيك في المسرحية التي مثلتها لأستدعيك بها إلى مكتبي؟.. ما لبث أن استوعب ما تقوله من كلمات حتى همست في أذنه بأن ينتظرها في موقف السيارات بعد انتهاء العمل وستلحق به..

ينتظر منذ ما يربوعن الساعة، قلبه وكل جوارحه يُريدونه أن يرحل ولا ينخرط في مثل هكذا أشياء لم يعهدها.. لكن عقله نضج كفاية ليقنعه أنّه لو رحل لرُبما تتسبب هذه المعتوهة في القضاء على لقمة عيشه التي لم يتقاضى منها سوى راتبين

لشهرين إثنين.. أنسيت موعدها به أم تراها ذهبت إلى منزلها.. لكن كيف تذهب بدون سيارتها التي يقف قبالتها منتظراً؟!.. وعلى حين غرة، وجد ظلّها ينبعث شيئاً فشيئاً من آخر الرواق وهي تلوح له بيدها اليسرى وتمسك مفاتيح السيارة باليد اليمنى وتعتذر منه عن تأخرها الذي كان لإحتياطات أمنية.. لم يكترث بما تُمليه عليه من تُراهات وركب معاها السيارة لتسأله بعدها عن المكان الذي يُحبذ أن يتناول فيه الغداء.. لم يخبرها بمكان محدد ليذهبا إليه -ليس لأنه خجول أو محترم أكثر من اللازم- لكنة حقاً لم يقصد أي أماكن فاخرة من قبل!.. بعد أقل من نصف ساعة قضاها شارداً غير مبالٍ بوجودها ينظر فقط من نافذة السيارة، وجدها تركن سيارتها أمام مطعم في فندق فاخرعلى ضفاف نهر النيل وتقول له بنبرة آمرة ممزوجة بالرِقة: بأن هيا انزل..

قادهما العامل المسئول بالمطعم إلى مكان طاولتهما التي يبدو أنّها قامت بحجزها مسبقاً.. سألته عن وجبته المفضلة لكنه لا يعرف شئ دسم أكثر من الطيور التي تُربّيها أمه في البيت ويأكل منها هو وإخوته طوال العمر برضا ونفس زهيدة.. فطلب أول شئ وقعت عليه عينيه في القائمة وكذالك طلبت هي!.. تناولا وجبة الغداء تلك التي يتناولها عادة في بيته على أنها عَشاء لكن طباع هؤلاء تختلف عن طباع أهل بلدته بوضوح.. الملعونة حكت باستفاضة عن تاريخ حياتها المهنية وحتى الشخصية من ساعة ولادتها وحتى طلاقها الأخير منذ بضعة أشهر..

وهو لم يُحرك ساكناً، تماماً كدُمية تستمع إلى أحاديث صاحبتها التي لم تتجاوز السادسة من عمرها ولا تملك سواها أنيس.. كلمة ضيق تفلتت حرفياً من قاموسه، يريد أن يفرّ بجلده من هذه المختلة عقلياً التي لا يعرف ماذا تُخبئ له؟.. استأذن منها بحجة أنه يريد قضاء حاجته وظل في دورة المياه أكثر من ربع ساعة يعتصر فكره ليجد عذراً مناسباً يليق بالإنصراف فلم يجد.. تُرى من يخلصني؟ شدّ على أسنانه وصرخ بهذه الكلمات.. ووجد نفسه يُخرج هاتفه المحمول من جيبه ليبحث عن رقم صديقه الذي يصغره بسنتين تقريباً لكنه مُقرباً منه وهوعلى درجة من الفكر والذكاء كذلك، وهو الطبيب الشاب محمد عادل..

***

(7)

لا أريد أن أعرف أمثالك مرة أخرى..

نطق بها كوداعية وهمّ ليخرج لولا أن صديقه ترجاه ليسمع منه ما حدث وبعدها يمكنه أن ينصرف للأبد.. "لا أملك سواك يا صديقي، يكفي تحسُراً على من خسرناهم، لن أتحمل المزيد.. أنت تعلم أني لا أملك شئ في الدنيا أبكي عليه سوى أمي، لا أقدر على تحمل نفقات التعليم الذي لولاه دافعاً لقتلتُ نفسي.. وحتى أبسط حقوقي من مأكلٍ وملبسٍ لا أقوى عليها.. ضاق ذرعي، وقَلّت حيلتي، ولم أرِد إلا الكسب الحلال لكنّ أحداً لم يمُد يد العون إلي.. قل لي بربك أي قوم هؤلاء الذين يهملون الشريف حتى يفسد وتفترسه الأيام؟".. وأخذ يلطم على وجهه، ويندب حظه ويبكي بحرقة.. احتضنه محمد وواساه مُعتذراً له بالنيابة عن الزمن على كل ما أصابه.. لكلّ مشكلة حل، لكل ضيق بأمر الله مخرجاً، كفاك نحيباً فنحن رجال.. هدأ وليد بعض الشئ لكنّه لم يقدرعلى الوقوف على قدميه.. سأله محمد بقلق: هل مازالت الرصاصة تسكن قدمك منذ ليلة البارحة؟!..

نعم، وذلك ما يُثير حنقي أكثر نظراً لِكَم الألم الذي أعتصره بداخلي ولا أُظهره حتى لا أذعر أمي.. إذاً هيا؛ قالها محمد بعد أن ناوله سترته ليلبسها، ولكن إلى أين؟.. ومن سيقبل بمساعدتنا؟.. وإن قبِل أتراه سيتسترعلى حالتي دون أن يشي بنا!.. نعم سنذهب للدكتور عبدالله طبيب الوحدة الصحية، فقبل أن يكون طبيباً عيّنته الدولة في هذا المنصب فهو على مقربة مني وبمثابة أخ أكبر وأنا أعتبره قدوة لي في مجال الطب.. ولكن!.. لا مزيد من المماطلة، هيا حتى لا تُسبب لك الرصاصة مزيد من المُضاعفات.. وما إن نهضا ليذهبا حتى سمِعا هاتف محمد يرن، فوجداه صادق.. قال وليد: كيف نسينا أن نُخبره وهو أكبرنا وأدرانا في التعامل مع مثل هكذا مواقف، فرد عليه محمد: سنخبره بالتأكيد.. ضغط زرّ الفتح وقبل أن يُلقي عليه السلام وجده يلهث ويقول بصوت خافت: محمد ساعدني فأنا في ورطة..

كاد وليد -عندما سمع كلمة ساعدني- أن ينفلت في الضحك رغم كمّ الألم والمعاناة، من يساعد من؟.. وهل يوجد ورطة أكبر من التي هم في خضمها؟.. اهدأ يا صادق وأخبرني بهدوء عن مصابك؛ هكذا قال محمد وصديقه متكئ على كتفه.. رئيستي في العمل تراودني عن نفسي ودعتني على الغداء -العشاء- معها الآن في مطعم فاخرعلى النيل وأنا الآن في دورة المياه ولا أدري ماذا أفعل... ابتسم محمد وقال لصادق: آه لو علمت ما نحن فيه الآن لكن اسمع.. رد صادق بسرعة: ماذا؟ أأنت في مشكلة؟.. قل لي ماذا حدث يا محمد ولا تُخفي عني شيئاً.. محمد: لا عليك سنهتم بها ولكن أنت!.. صادق: أستحلفك بالله أن تقول يا رجل.. حسنا؛ وليد مصاب بطلق

ناري في قدمه في حادث مُشين ونحن ذاهبان الآن للدكتورعبدالله ليقوم بعمل اللازم.. جحظت عيني صادق من الدهشة وتسمّر مكانه واضعاً كفه على وجهه لا يدري ماذا يقول.. فتابع محمد: لكن أرجوك لا تخبر أحداً بذلك.. صادق ليطمئنه: بالتأكيد لن أخبرأحداً، كن أنت بجانب وليد وأنا من صباح باكر ستجدني في القرية معكم بإذن الله.. ولسان حاله يتذكر المثل الشعبي الذي يقول "قضاءٌ أخفّ من قضاءٍ"..

انتظر! انتظر! لا تغلق الخطّ، مازلنا في مشكلتك يا صادق، ماذا ستفعل الآن مع هذه المرأة؟.. لا عليكم، سيلهمني الله الحل لأجد مخرجاً مادامت نِيّتي لا تبغي الحرام مقصداً.. قال وليد: أخبرها بأنّ أحد أقربائك في المستشفى وعلى وشك أن يدخل غرفة العمليات لِتدَخل جراحي حرج.. وأكدّ محمد على كلامه: نعم، أنت بذلك لن تكذب، هكذا هو.. انفرجت أسارير صادق وقال لهم: حسناً الدكتور عبدالله ابن خالي كما تعلمان، سأخبره بأن يسبقكم على الوحدة الصحية، وأنتم اسلكوا الطريق الزراعي حتى لا يراكم أحد.. وسأذهب لأعتذر من تلك المرأة، وضع الهاتف في جيبه ثمّ أخذ نفساً عميقاً وفتح باب الحمام وذهب إليها بدون تردد..

ما إن رأته حتى أدخلت هاتفها -الذي لا ترى به خدش لأنها تستدبله بإصدار جديد كلما نزل الأحدث- في حقيبتها وبادرته فقالت: لماذا تأخرت كل هذا؟.. على الفور قال: حسناً اتصل بي أقربائي وأخبروني بأن أذهب للقرية لأن أحد أصدقائي الآن حالته حرجة في غرفة العمليات.. ماذا؟!.. تعجبت وتضايقت في آن واحد لأن أمسيتها على وشك أن تفسد فحملها الوديع -صادق- سينفد بجلده.. قالت على الفور: وماذا عن لقائنا؟.. قال موشِحاً بوجهه عنها: لست أدري أريد أن أذهب.. ردت في شِبه استسلام: حسناً يمكنك أن تنصرف بالتأكيد ولك يومين إجازة من العمل أو أكثر إن أردت أن تستزد على الرغم أنّي لا أتحمل أن تغيب أنظاري عنك أبداً!.. وأردفت: ومتى تعود سيجمعنا موعداً آخر بالطبع.. فاض به من وقاحتها وقال: لن يجمعنا شئ آخر -سيدتي- أنا وأنت لا تربطنا أية صلة ببعضنا البعض سوى أنني موظف مبتدئ وأنتي رئيستي في العمل.. وأعاد هذه الجملة مشيراً إليها بسبابته: رئيستي في العمل فقط.. لم يبدو عليها أي أثر للضيق أو الإستحياء -فهؤلاء يا صديقي لا يعنيهم أي شئ يُعكر صفو مزاجهم- وبعد أن يتركها صادق ستبحث عن وغدٍ آخر يُشبهها بالتأكيد.. ولكنها تداركت الموقف فقالت: على الأقل دعني أُقلّك بسيارتي لتصل سريعاً إلى سكنك؟.. طفح كيله بالفعل فقال: شكراً لكي ولكنّي أعرف طريقي جيداً وسأذهب أنا.. فهزت رأسها بتَقبّل، وهكذا مضى الفتى في طريقه بعد أن أزاح حِملاً ثقيلاً من على كاهله وانطلق على عجل..

(8)

لبّى الدكتور عبدالله نداء ابن عمته صادق وذهب للوحدة الصحية حيثُ سينتظر أصدقائه هناك.. وفي طريقهما؛ مرَ وليد ومحمد على البنك الزراعي ومكتب البريد وأصرّ وليد على أن يدخل ليعترف بفعلته لشيخ العفر وليكن ما يكن.. قال محمد: اصبر ولا تستبق الأحداث يا صديقي، فقط تعكّزعلى كتفي حتى نصل لمكاننا المنشود.. استلقى وليد على السرير الطبي وقام الطبيب بتخدير موضع الرصاصة وراح محمد يساعده في استخراجها.. خرجت الرصاصة وحمداً لله لم يُصب أيّ شريان ولم يحدث نزيف داخلي وإلا!.. وبينما وليد نصف مخدَر، قام الطبيب بتوبيخ محمد وقال له: أنت أدرى من غيرك بالأضرار التي قد تحدث إن كان الجرح قد تفاقم.. صدقني فور ما عرفت بما حدث لصاحبي تصرفت مسرعاً وأتيت إليك... نظر إليه من أسفل نظارته وقال: هل ما يدور في خاطري صحيح؟... محمد: نعم صحيح، وليد هو اللص الغامض الذي تتحدث عنه القرية برمتها منذ الأمس ولكن أرجوك لا تخبر أحداً إلى أن يأتي صادق وننظر ماذا سنفعل.. قال الطبيب: حسناً بعد أن يفيق من تأثير المخدر سنقرر..

ما إن أفاق وليد حتى خرج الدكتورعبدالله مسرعاً ليحضر سيارته المركونة أمام بِناية الوحدة الصحية، أخبره محمد بأنه لا داعي للمزيد من جهوده يكفي أنهما أنهكاه طِيلة الليلة.. فرد: لا تقل ذلك، حالته لن تسمح بالسير أبداً كما أن الوقت متأخر، هيّا لنحمله معاً إلى السيارة.. انطلق الطبيب الخدوم على حذر إلى منزل وليد الذي كان تأثير الجرح والمخدر واضحان عليه فلم يتكلم طيلة الطريق.. وقفت السيارة أمام البيت ونزلا منها على مهل، وقال لهم الطبيب: لابد أن يسترح جيداً وأنت يا محمد قم بتغيير الجرح كما تعلم وعندما يأتي صادق غداً بإذن الله سنجتمع لننظر ماذا سنفعل.. لا نعرف كيف نشكرك.. لم أفعل إلا واجبي، والأن هيّا إلى البيت.. انطلق بسيارته وطرقا الباب فقامت الأم -التي كانت نائمة منذ العشاء- لتفتح وقالت: لماذا تأخرت؟... اضطر محمد للكذب هذه المرة وقال: ذاكرنا في غرفتي كثيراً يا خالتي وسأصعد مع وليد لآخذ كتاب كنت قد نسيته من قبل وأرحل.. حسناً؛ تصبحون على خير وذهبت لغرفتها.. صعدا سلالم الغرفة على مهل، ودسّ وليد جسده بين ثنايا غطاء السرير، ومحمد يُطالعه في إشفاق وقال: لابد أن أذهب حتى لا يقلق والداي أكثر من ذلك وسأمر عليك غداً.. استرح يا صديقي الآن..

في الصباح الباكر، وصل صادق إلى أطراف القرية ومرّعلى محمد أولاً والذي بالمناسبة قام بمهاتفته أمس بعد أن انتهت المهمة ليطمئنه.. صافحه بحرارة على الرغم من أنه كان معه منذ أقل من عشرةِ أيامٍ في آخر إجازة له.. وقال صادق: ألن

تذهب إلى جامعتك اليوم؟.. لا، لابد أن أكون بجانب وليد لأغير الضمادات على جرحه، كما أنني عاهدت الدكتور عبدالله على إيجاد حل حالما يتعافى وليد وتعود أنت من سفرك.. حسناً، هيا نصعد لنطمئن عليه إذاً.. ما إن دخلا عليه غرفته حتى وجداه في أبهى حُلة، حيث كان ممسكاً بكتاب الله ويرتل القرآن بصوت شبه مسموع.. قَبّله صادق من وجنتيه -السلام الترحيبي الرسمي في مصر- واطمئن على حالته، وطَيب خاطره ببعض الكلمات.. لا تقلق؛ ستمر الكبوة وستخرج منها سالماً معافاً بإذن الله.. والآن؛ سأتركك مع الدكتور محمد ليغير الضمادات ليطيب جرحك وترتاح.. وأنا سأذهب لأرى أهلي ولا تقلقا على الحجة التي سأختلقها لقدومي المفاجئ، وحدها أمي هي من ستذعر بعض الشئ.. وغداً؛ حينما يكون قد اشتدّ عضدك، سنجتمع جميعاً ولن يهدئ لنا بال حتى ننفك من هذه المشكلة.. أستودعكم الله..

***

(9)

مع أذان الفجر، قام محمد من سريره ليصلي، وحضّر نفسه ليذهب بعدها إلى محطة القطار حيث ينتظره صديقه أيمن -وهو بالمناسبة ابن شقيق شيخ الغفر- ليمضيا معاً إلى الجامعة.. قصد دار صديقه وليد أولاً ليغير مرة ثانية على جرحه ويرى إن كان يريد شيئاً آخر ليقضيه له.. فقال له وليد الذي ظهر عليه النشاط والهِمة: الليلة ستكون ليلة الحسم يا صديقي.. ابتسم محمد وذهب لجامعته وقُبيل المغرب كان قد وصل لبيته بعد يوم شاق ليريح جسده إلى العِشاء حيث الموعد المنتظر.. هاتفه صادق وأخبره أنّه بإنتظاره في المسجد برفقة الدكتورعبدالله ليصلوا جميعهم العشاء ثم يدبرها الله برحمته بعد ذلك.. بعد أن فرغ ثلاثتهم من الصلاة، قصدوا منزل وليد الذي ولجه محمد كثيراً الفترة الماضية!.. وسلموا عليه واطمئن الدكتورعبدالله على حالته أكثر ووجده بخير حال.. قطع وليد الصمت قائلاً: حسناً بدون مقدمات، أنا من اجترأ على سرقة أهل قريته، أنا من أغواه الشيطان ليسطوعلى ممتلكات أهل بلدته، لكن وحده الله يعلم أنّني لم أفعلها إلا بعد أن فاض بي وقلت حيلتي ووهن أمري.. وأخذ يجهش بالبكاء إلى أن أسكته صادق وقال له: كلنا بجانبك يا صديقي، وكما وعدتك أننا لن نتركك إلى أن نجد حلاً وسيكون ذلك الليلة، أليس كذلك يا دكتور عبدالله؟..

قطَب الطبيب الخدوم ما بين حاجبيه وقال: نعم، ما دمتَ نادماً على ما اقترفت، وفي نيتك ألّا تسعى وراء السرقة مرة أخرى فكلنا سنساندك وندعمك، لكن المهم أن تستقيم.. وأردف: والآن سنذهب نحن حتى لا نضيع المزيد من الوقت لنلحق بشيخ الغفر في بيته قبل أن يذهب إلى دوريته الليلية.. في هذه الأثناء, دخلت أمّ وليد بالبرّاد الفضي وأكواب الشاي الزجاجية -واجب الضيافة- وتَسلَمهم منها محمد على الباب، وألقت التحية على صادق والطبيب ثم انصرفت على حذر.. بعد أن غادرت قال وليد: لن تخطوا خطوة بدوني.. ردوا عليه جميعهم: كيف ذلك؟.. لن تقوى حتى على التحرك، ما زل جرحك لم يتعافى كلياً.. لا يهمني؛ ما دامت غلطتي فسأعمل معكم على إصلاحها، لا مزيد من التواكل.. ومازالوا يجاذبونه أطراف الحديث حتّى قال محمد على الفور: حسناً أنا أعرف صديقي في عِناده جيداً، مادام أقنع نفسه بعمل شئ فسيهب ليفعله.. والآن ساعدني يا صادق على حمله ولو تكرمت يا دكتور جهز سيارتك.. هَموا جميعهم واقفين لا يعنيهم إلا التغيير ما استطاعوا، وقال صادق في تحدٍ: إلى منزل شيخ الغفر..

على رأس الشارع، ركن الدكتور عبدالله سيارته بمحازاة ورشة الميكانيكا, وبينما يتعكّز وليد على كتف محمد، أخذ صادق ينادي على شيخ العفر ليخرج إليهم.. وكان محمد قد اتصل بصديقه أيمن -قريب شيخ الغفر- لينتظرهم على رأس الشارع.. بعد ثاني نداء، خرج الرجل ورحب بهم كثيراً وبالدكتور عبدالله على الأخص ودعاهم للدخول فدخلوا.. امر إبن شقيقه أن يذهب ليحضر واجب الضيافة، فأحضر لهم عصير ليمون هذه المرة وما إن دخل حتى استأذنه الدكتورعبدالله ليوصد الباب جيداً.. شربوا جميعهم ماعدا وليد الذي كان العرق يصب منه صباً.. قال صادق وفي حلقه غُصّة: جئنا إليك لكي تسامحنا.. على ماذا؟.. أنتم خيرة شباب القرية ومستقبلها ونباهي الجميع بأخلاقكم.. قال الطبيب: نعم ولكن.. تلعثم أكبرهم بالكلام ولم يدرِ بماذا ينطق.. أنتم تقلقوني هكذا يا فتية، ما الذي يحدث هنا؟.. أخذ وليد المبادرة وقال كلمتين اثنتين: أنا السارق.. ماذا؟.. جحظت عيني الرجل وهبّ واقفاً على قدميه يكاد أن يُجن من هول ما سمع والأفكار في رأسه تتقلب كالجمر.. إلى أن قام الطبيب وصادق وقالا له: نستحلفُك بالله أن تجلس وتسمع القصة بأكملها.

(10)

جلس يضرب كفاً على كفٍ ومن حوله يحاولون تهدئته بشتى السبل، وقال في حنق: وإن كنت قد أُرديتِ قتيلاً ماذا سيكون وضع أمك حينها؟.. ولماذا تضطرّ للسرقة من الأساس؟.. أطلبت من أحدنا شيئاً ولم يُلبّه لك؟.. وماذا عن الرصاصة؟.. أظنها أخترقت قدمك، رأيتك تعرج ليلتها.. ازدرد الدكتور عبدالله ريقه وقال: أنا من أخرجتها بعد أن استنجد بي صادق ومحمد.. حتى أنت ساعدت هذا اللص!.. لابد أن أسلمه الآن لقسم الشرطة, لابد أن يُحاسب على فعلته.. وكانت المفاجأة أن أوّل من تكلم ليدافع عن وليد كان أيمن.. فقال: اسمع يا عمي، ألم تفكر ولو لحظة لماذا قد اجترأ وليد على فعلته؟.. أنت تعلم أنه يعول أمّه بمفرده، وتابع محمد بعده: وليسد احتياجاته الدراسية بحث عن عمل ليكسب بالحلال فلم يقبل به أحد.. ومن بعدهم صادق: إنّ ظروفه صعبة حقاً، ومن يدري لولا المعاش الذي نتقاضاه بعد وفاة أبي على ماذا كان سيؤول حالي؟.. محمد: ولولا وظيفة أبي لانقلب حالي رأساً على عقب وربما لم أكن لألتحق بكلية الطب.. أيمن: وأنت خير من يعلم أيضاً أنه لولا زراعة الأرض لما تحملت نفقات التعليم من الأساس.. الطبيب: جميعنا على يقين أنه لا مبرر للسرقة، لكن النفس أمارة بالسوء والفتى تملكه الشيطان وقتها، وهو حقاً نادم..

كانت العَبرات تسيل من على وجه وليد الذي دفنه في الأرض ازدراءً لنفسه.. ينصت إليهم وتزف مُقلتيه بالدموع من كل جانب ومع كل اعتذار منهم تسيل أكثر وأكثر.. هز الرجل رأسه في عدم رضا وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإن سامحناه على فعلته من يضمن أنّه قد يعود إلى مثلها ويحتمي بكم بعدها!.. بادرهم الطبيب وقال: من هذه الناحية اطمئن فوليد بعد أن يطيب جرحه سيعمل معي.. نظرت الأعين جميعها في اهتمام إلى الطبيب الذي أردف: نعم أنتم تعلمون أنني أعمل بدون مساعد، وأريد أن يعاونني أحدٌ في الوحدة الصحية.. اختتم صادق الكلام وقال: كل المؤشرات تدل على أن وليد أجرم جُرماً صغيراً وهو عازم على ألّا يعود لمثله أبداً, ويريد فقط أن يحيا حياة طيبة شريفة.. نظر الرجل إلى أعين وليد التي تدمي بالدموع وقال: أتحلف على كتاب الله -هكذا العرف عند هؤلاء- أنك لن تسرق او تمُد يدك للحرام مرة أخرى؟.. أخرج وليد مصحفه الصغير -الذي يُلازم جيبه- وحلف عليه ثلاثاً وسيل من الدموع على وجنتيه.. شيخ الغفر مختتماً الجلسة: وأنا لن أرد لشباب خلوقٍ طيب مثلكم أي طلب.. وهكذا؛ وقفوا جميعهم ليسلموا عليه وعلامات الرضا تعلوا وجوههم بما حققوه من إنجاز ولو بسيط..

ألقى أيمن عليهم التحية ليودعهم وطلب من محمد ألّا يتأخر غداً على موعد القطار.. وكانت آخر كلمات الرجل وهم يرحلون بالسيارة أن بارك الله فيكم وحفظكم دوماً.. وبينما هم في السيارة، لم يدروا جميعهم بأي طريقة قد يشكروا الدكتورعبدالله.. قال وليد: أنا حقاً مدين لكم جميعاً بالكثير.. صادق ومحمد: لا تقل ذلك فنحن إخوتك قبل أن نكون أصدقائك.. الطبيب: جميعنا مررنا بالأسوء يا فتى لكن المهم هو أن نتعظ ونتعلم من أخطائنا، وفي نبرة مضحكة قال: وسآخذ حقي منك كاملاً في العمل الشاق بالوحدة.. ضحكوا جميعاً وأردف الطبيب: وأنت يا صادق ألن تأتي معي لتزور خالك قبل أن تسافر؟.. لم يكمل صادق ردّه حتى باغته وليد وقال: لا، سيرافقني صادق ومحمد أولاً فهناك أمر آخر بيننا وبعدها يمكنه أن يزوركم متى شاء.. قال صادق ضاحكاً هذه المرة: يبدو أن أمورك كثيرة يا وليد.. فتبادلوا الضحكات إلى أن وصلوا إلى بيت وليد الذي قصدوه كثيراً في اليومين السابقين!.. ودّعهم الطبيب الخدوم وقال وليد: هيا إلى غرفتي.. بادره محمد: لقد ملّت غرفتك منا يا رجل لنصعد إلى غرفتي أنا.. قال صادق: أيّ واحده ستؤدي الغرض يا رفاق هيّا لأني سأسافر صباح باكر.. قادهم محمد إلى السلالم التي تفضي إلى غرفته -الغرفة التي رأى منها الحادثة-..

جلس ثلاثتهم بجوار النافذة، ووليد -باندفاعه المعهود- يتأهب لكي يخبرهم مراده.. فقال: أصدقائي، بقدر ما أنا غير راضٍ عن نفسي لكنني حقاً مُمتن، وآن الأوان لكي أرد لكما وبالأخص لمحمد جزء ولو بسيط من أفضالكم ونبل ضمائركم تجاهي..

وتابع: يا صادق، أنت خير من يعلم أن محمد أكثرنا جِداً واجتهاداً ولأنك من المقربين إليه يخشى أن يخبرك بأنه يريد مصاهرتك في أختك حسناء!.. تفاجئ محمد أكثر من صادق نفسه، وجَذّ على أسنانه لأنه يعلم أنه وإن كان يحبها إلا أنّه ليس بيديه شئ.. وليخمد من جذوة وليد قال: هذا ليس بالوقت المناسب يا رجل.. أسكته وليد قائلاً: لا، ولمَ لا يكون؟.. الخيرلا يتأخر، هكذا علمتُماني..

ما إن سمع صادق حديث وليد المتهور حتى أخذ يجول بشرود في الغرفة.. وبعدها نظر من النافذه ناحية البستان ووجّه كلامه إليهما معاً وقال: أنتما تعلمان أن الفتاة لا تركز في شئ الآن إلا مذاكرتها.. وليد: نعم، ومحمد كذلك، لكن نريد أن نعرف رأيك في هذا بما أنك ولي أمرها.. محمد: لا تحرجه أكثر من ذلك يا وليد.. صادق: أنا لست معترض بالطبع يا رفاق لكن الأمر منوط للفتاة، وأردف: لكن ما أستطيع أن أعدكم به أنه متى مالت أفكارها ناحية الزواج فسيكون محمد هو الخيار الأول.. انفرجت أسارير وليد وقال: نعتبرها منك موافقة إذا؟.. ومحمد -بعد أن احمرت وجنتيه خجلاً- قال: اهدأ يا وليد، هذه الأمور لا تؤخذ هكذا على عجل وسمعت بنفسك رأي صديقنا صادق.. ابتسم صادق ابتسامة رضا لمحمد وقال: والآن عليكم أن تركزوا في دراستكم وخاصة أن الإمتحانات على الأبواب.. شدّ وليد على سواعدهم فرحاً وأنهى الحديث قائلاً: هكذا هي الحياة، من كابوس بالأمس إلى سعادة اليوم.. وزاد محمد: وأمل في المستقبل..

***

تمت.. بحمد الله